السنة الثانية والستون وثلاث مئة

فيها لم يُعمل في يوم عاشوراء ما جَرت به العادةُ من النَّوح وغيره، وسببُه ما جرى على المسلمين من الروم بالجزيرة ونَصِيبين وغيرهما مما سنذكره إن شاء الله تعالى، وكان الحاجب سُبُكْتِكين مقيماً ببغداد، وبختيار بواسط، فمنعهم سبكتكين، وكان يميل إلى السنة.

[ذكر دخول الروم نصيبين:

قال علماء السير:] وفي يوم السبت مُستَهلّ مُحرَّم دخل ملك الروم نصيبين، فقتل وسَبى، واستأسر عامَّة أهلها، وهدم وأحرق، ووصل الخبر إلى بغداد فاضطرب أهلُها، ووافق ذلك ورودُ خبر الحاج للسنة الماضية، وما فعل بهم بنو هلال، ومات أكثرُهم، وشَغَب العوام، وقامت(١) الفتن.

وقال ابن الصَّابئ: خرج الدُّمُسْتُق في جموعٍ كثيرة إلى بلاد الإسلام، فوَطئها، وأثَّر آثاراً قبيحة، وغلَب على ديار ربيعة بأسرها، ودخل نَصِيبين فاستباحها، وقتل أكثرَ أهلها، وسبى السَّبْيَ العظيم من نسوانها وصبيانها، وأقام فيها نَيِّفاً وعشرين يوماً، ولم يكن من أبي تَغْلِب نَهْضَةٌ إليه؛ لكنه دفع إليه مالاً صانعه به عن نفسه.

ووَرد مدينةَ السلام خَلْقٌ كثير من أهل تلك البلاد، فاستَنفروا الناس في المساجد الجامعة والأسواق، وكسروا المنابر، ومنعوا الخُطباء من الخطبة، وصاروا إلى دار المُطيع، وحاولوا الهجومَ عليه، واقتلعوا بعضَ شبابيكها، حتى غُلِّقت أبوابُها، ورماهم الغلمان بالنُّشَّاب من رَواشِنها وحيطانها، ونسبوه إلى العَجْزِ عما أوجبه الله على الأئمة، وتَعَدَّوا في القول إلى الغِلظة القبيحة، والسَّبِّ القَظيع.

ووافق ذلك شُخوص عزِّ الدولة من واسط إلى الكوفة للزيارة، فخرج إليه أهلُ السَّتر والدِّيانة من أهل بغداد، منهم أبو بكر الرَّازي الفقيه، وأبو الحسن علي بن عيسى النَّحْوي، وأبو القاسم الدَّارَكيّ، وابن الدَّقاق الفقيهَين، وشَكَوا إليه ما طرق المسلمين من هذه الحادثة العظيمة، وعاتبوه على أن شَغل نَفْسَه وجيشَه بصاحب البَطِيحة،

(١) في (ف م م١): وثارت.

وأهمل أمر الرّوم، فوعدهم بالعَوْدِ إلى واسط، ومُصالحة عمران، والانكفاء إلى الثغور، فسكنوا وانصرفوا.

ورجع إلى واسِط، وكتب إلى أبي تغْلب يُخبره أنه على نية الغزو، ويُلزِمه أن يُعِدَّ له الأزواد والعُلوفات، وبعث في ذلك أبي بكر محمد بن عبد الرحمن بن قُرَيْعَة القاضي، وأخرج أبا طاهر بن بَقيَّة إلى سبكتكين ليُصلح ما تَشَعَّث بينه وبين العبَّاس الوزير، ويُعيده له إلى الصفاء والمَودَّة، ويُنهِضه معه إلى الغزو، ويأمره باستنفار المُطَّوِّعة ومَن يرغب في الجهاد من العامة.

فأما أبو تَغْلب فأجاب جواباً، ووعد في المُلتَمَس منه.

وأما سبكتكين فأظهر صلاحَ النيَّةِ في الوزير، وأسرَّ خِلافَه، وركب مع الأمير أبي إسحاق ببغداد، واستنفر الناسَ والعوامَّ، فثار منهم عَددُ الرَّمل بأصناف السلاح، حتى بَهَره ما شاهد منهم، وكان ذلك من أقوى الأسباب في أن استَجاش على عزِّ الدولة أيامَ خَلْعِه طاعتَه بهم، وجرَّ هذا الاستنفار وقوعَ الفتن.

وورد الخبرُ بمصير الدُّمُسْتُق(١) إلى آمِد، وكان بها هَزارمرد غلامُ أبي الهيجاء بن حمدان، فكاتب أبا تغلب مُستصرِخاً به، فبعث إليه أبا القاسم هبة الله أخاه في جيشٍ كَثيف، فأغَذَّ السَّيرَ حتى وصل إلى آمد ليلةَ الفِطر، وجاء الدُّمُستق فتلقّاه هبة الله وهزارمرد، وقاتلاه أشد قتال، فنصر الله الإسلام، وقتلوا من الرُّوم خلقاً كثيراً، وأسروا الدُّمستق؛ فكان في عدَّةٍ كثيفة لكنه التقى هبة الله اتّفاقاً في مَضيق، وهو في أول عسكره، وعلى غير أُهْبَةٍ من أمره، فأخذه أسيراً، وأسر جماعةً من البَطارِقة، وأُنفِذَت رؤوس القتلى إلى بغداد.

وكتب أبو تَغْلب كتاباً إلى الخليفة بالفتح منه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله أبي القاسم الفَضل، الإمام، المطيع لله، أمير المؤمنين، من عبده وصنيعته ابن حَمْدان: سَلامٌ على أمير المؤمنين، فإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو، وأسألُه أن يُصلِّي على محمد عبده ورسوله ﷺ، أما بعد: أطال الله بقاءَ سيِّدنا ومولانا أمير

(١) من قوله: ورجع إلى واسط وكتب إلى أبي تغلب ... إلى هنا ليس في (ف م م١).

المؤمنين، أدام الله عزَّه وتأييده، وكرامتَه، وسعادتَه وحِراستَه، وأتمَّ نعمتَه عليه، وزاد في إحسانه لديه، والحمد لله الذي نصر أولياءه، وقهر أعداءه، وذكر الإسلام وفضلَه وأطال إلى أن قال: وقد عَلم سيدنا ومولانا ماكان من طاغية الروم في استحكام طَمَعِه، وتسلُّطه، واستيلائه، وتَبسُّطِه على الثُّغور الشامية عند تشاغل المسلمين عنها، وبُعدِ ذَوي الثَّبات والبَصائر منها، وأنه أتى إليها وإلى نَصيبين بَغتةً، وفعل بها ما فعل، وذكر أَسْرَ هبةِ الله له، وأنه في قَبْضَتِهِ وبطارقته، وذكر كلاماً طويلاً.

فأجابه المُطيع بكتابٍ يَشكره فيه، ويُقوِّي عزيمتَه وهِمَّتَه[1].

وحبس أبو تغلب الدُّمُستق عنده، وأحسن إليه إحساناً كثيراً رجاء أن يَبلُغ به من صاحب الروم ما يَرومُه، فخرج به خُراجٌ عظيم فمات منه.

وفيها قدم بَخْتكين أرادرويه[2] واسِطاً على عزّ الدولة، فأكرمه وأعظمه، وكان من الأتراك، فعقد له على الأهواز؛ وذلك برأي العبَّاس الوزير ليَجذبَ الأتراك إليه عن سبكتكين، وثبت عنده أن الوزير يُدبِّر الأمرَ عليه، وثبت عند الوزير أن سبكتكين يريد الخروج على عز الدولة، وأنه قد استمال الدَّيْلَم إليه.

ولما أحسن عز الدولة إلى بختكين فهم سبكتكين المراد، فانضاف إليه جماعة، فرأى عز الدولة إصلاحَه، فراسله واستصلحه، وأصلحه الوزير، فأظهر الانقياد إلى الطاعة، وفي القلب ما فيه، وخلع عليه عز الدولة الخِلَع الجليلة، وزاد في ألقابه الأسفَهْسَلار[3].

وفي صفر توفي عبد الصمد بن محمد القاهر [بالله.

قال ابن الصابئ:]وفيها في شعبان احترقَت الكَرْخ؛ [وذكر كلاماً طويلاً حاصله[4]:] أن أهل الكَرْخ قتلوا رجلاً من أهل المَعونة، فبعث الوزير [أبو الفضل الشِّيرازي] مَن طرح النار من النَّخَّاسين إلى السَّمَّاكين، فاحترقت أموال عظيمة، من

(١) من قوله: وكتب أبو تغلب كتاباً إلى الخليفة... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٢) انظر الكامل ٨/ ٦٣٥ .

(٣) هذا الخبر ليس في (ف م م١).

(٤) ما بين معكوفين من (ف م م١)، بدله في (ب خ): وذلك.

جملتها سبعة عشر ألف دُكّان وثلاث مئة دكان، وثلاث مئة وعشرون داراً، أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألف ديناراً، واحترق ثلاثة وثلاثون مسجداً.

والتقى رجلٌ من الصالحين الشّيرازي فقال له: أيها الوزير، قد أريتنا قُدرتَك، ونحن نُؤمِّل أن يُرينا الله قدرتَه فيك، فلم يُجبه بشيء لتفاقُم الأمر [وكان الشيرازي يميل إلى السنة، وما فعل ذلك إلا لينتقم من أهل الكَرْخ]، وكَثُر الدُّعاءُ عليه، فسخط عليه عزُّ الدولة، وسَلَّمه إلى الشريف أبي الحسن محمد بن عمر العَلَوي، فأنفذه إلى الكوفة، وعذَّبه بأنواع العذاب، وسقاه ذَراريح(١) فتَقَرَّحَت مَثانتُه، فمات في ذي الحجة [من هذه السنة.

وذكر غير ابن الصابئ] في حريق الكَرْخ وجهاً آخر [فقال:](٢) لما أمر عزُّ الدولة سبكتكين الحاجب بأن يُنَفِّر الناس للغزاة، ونادى، وظهر ما ظهر من العُدَّة والسلاح؛ انقلب الأمر، فصار أهل بغداد قسمين سنة وشيعة، ثم إنهم وجدوا إلى القتال طريقاً بإشهار السلاح.

ويقال: إن سبكتكين فرَّق فيهم سلاحاً كثيراً ليصل ذلك إلى الروم، فلما حملوا السلاح وقعت الفتنة، وأظهر كلُّ فريقٍ ما كان في نفسه، فدخل سبكتكين بينهم، فأرادوا قتلَه، فكتب إلى عز الدولة، فقدم بغداد ليُسَكِّن الفتنة، فزاد الأمرُ وتفاقم، واستولى العَيَّارون والشُّطَّار على بغداد، وكبسوا الدُّور، وتعرَّضوا للحريم، فألجأت الضَّرورةُ إلى أن رمى السُّلطان النارَ في الجانب الغربي من بغداد؛ لأن الفتنة كانت فيه أقوى، فرمى النار من حدّ بِرْكةِ زَلْزَل إلى عند السمَّاكين، فأحرق الكَرْخَ كلَّه، ومنع الناس من إطفائها، فأخذت يميناً وشمالاً، فأحرقت ألوفاً من الناس والبهائم، وكان يوماً عظيماً لم يَجْرِ في الإسلام مثلُه، وأعطى السلطان العَيَّارين الأمان، فسكنت الفتنة.

وفيها زُلزلت بلاد الشام، وهُدِمت الحصون، ووقع من أبراج أنطاكية عدَّة، ومات تحت الهَدْم خَلْقٌ كثير.

---

(١) هي السموم.

(٢) ما بين معكوفين من (ف م م١)، بدله في (ب خ): فمات في ذي الحجة وقيل في حريق الكرخ وجهاً (كذا) آخر وهو أنه.

[فصل في ذكر دخول أبي تميم المُعِزّ مصر:]

قال ابن الصابئ: وفي يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان دخل المعزُّ إلى مصر ومعه توابيتُ آبائه، وقد مهَّد له جوهر الأمور، وبنى له القاهرة، فكان نزوله فيها.

[هذه صورة ما ذكر ابن الصابئ، وحكاه جدي في «المنتظم»[١]].

قلت: ولابدَّ من ذكر السبب في مجيء المعزِّ إلى مصر، وترك بلاد المغرب مع سَعَتها وكثرة مُدنها، فذكر القاضي] عبد الجبار البصري [وقال:] كان السبب في مجيئه إلى مصر أن الروم كانوا قد استولوا على الشام، والثُّغور، وطَرَسوس، وأنطاكية، وأَذَنة، وعين زَرْبَة، والمِصِّيصة وغيرها، ففرح بمُصاب المسلمين، وبلغه أن بني بُويه قد غَلَبوا على بني العباس، وأنهم لاحُكْمَ لهم معهم، فاشتدَّ طَمَعُه في البلاد، وكان له بمصر شيعةٌ يكاتبونه ويقولون: إذا زال الحَجَر الأسود ملك مولانا المعزُّ الدنيا كلها، ويعنون بالحجر الأسود كافوراً، وكان كافور يومئذ أميرَ مصر نيابةً عن أبي محمد الحسن بن عُبيد الله بن طُغْج، وكان الحسن قد دخل مع الشيعة في الدَّعوة، وكان ضعيفاً رِخْواً، قد طمع فيه الجند وكرهوه وكرههم، فقال له أبو جعفر بن نَصْر ـ وكان من دُعاة المعزّ: هؤلاء القوم قد طمعوا فيك، والمعزُّ لك مثلُ الوالد، فإن شئتَ كاتبتَه ليَشُدَّ منك، ويكونَ من وراء ظهرك، فقال: إي والله قد أحرقوا قلبي.

فكتب إلى المعزّ فأخبره، فبعث القائد جوهراً ـ وهو عبد روميّ ـ لهم في مئة ألف مقاتل، فدخل مصر في سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة بغير حَرْب، فاستولى على الخزائن والأموال والذَّخائر، وخرج الحسن ابن طُغْج إلى الرَّمْلَة، فبعث إليه ابن فلاح فأسره، وبعث به إلى جوهر، فبعث به إلى المعزِّ، فلما دخل عليه قَرَّبه وأدناه وبَشّ به، وقال له: أنت ولدي، وإنما بعثتُ جوهراً لينصرَك، وقد لحقني بتجهيز الجيوش أربعة آلاف ألف دينار وخمس مئة ألف دينار، فظنَّ الحسنُ أن الأمر كما قال، فسعى إليه بجماعةٍ من قُوَّاد مصر والأمراء وأرباب الأموال، وكان كلُّ واحدٍ منهم مثل قارون في

(١) ١٤/ ٢١٥.

الغنى، فكتب المعزُّ إلى جَوهر باستئصالهم، وأخذ أموالهم، وأن يبعث بهم إليه، ففعل جوهر، فحبسهم مع الحسن، فكان آخر العهد بهم.

[قال عبد الجبار:] ولما دخل المعزُّ إلى القاهرة احتجب في القصر، وبثَّ عيونه[١] ينقلون إليه أخبار الناس، وهو متوفر على التنعُّم[٢]، والأغذية المسمّنة، والأطلية التي تُنقّي البشرة وتحسِّن اللون، ثم ظهر للناس بعد مدة وقد لبس الحريرَ الأخضر، وجعل على وجهه اليواقيت والجواهر تلمع كالكواكب، وزعم أنه كان غائباً في السماء، وأن الله رفعه إليه، فامتلأت قلوب العامَّة والجُهّال منه رُعباً وخوفاً، وقطع ما كان على ابن الإخشيد كل سنة من الأتاوة للقرامطة، وهو ثلاث مئة ألف دينار.

وفيها ضاق الأمر على عزّ الدولة، فبعث إلى الخليفة يطلب إسعافه، فباع المطيع له ثيابَه وأنقاضَ داره من ساجٍ ورصاص، وجمع من ذلك أربع مئة ألف درهم، وبعث بها إليه، ثم ازدادت ضائقتُه، فقبض على وزيره [أبي الفضل] العباس [بن الحسين الشيرازي]، وصادره على ألفي ألف درهم، واستوزر أبا طاهر محمد بن [محمد بن] بَقيَّة.

والسبب في ذلك: أن عز الدولة لما عاد من واسِط، وصالح عمران صاحب البَطيحَة؛ طلب من وزيره الشِّيرازي المال ليدفعه إلى الرجال، فعدل إلى المصادرات حتى لأهل الذِّمَّة، فكثر الدعاءُ عليه في الجوامع والبِيَع والكنائس، واتفق أنه أحرق الكَرْخ، وطالب المطيع بمال وقال: إن مساعدةَ الغُزاة تجب على الإمام، فقال له المطيع: إنما يلزم الإمام ذلك إذا كانت الدنيا في يده، فأما وليس في يدي منها إلا القوت القاصر عن كفايتي، وهي في يد غيري، ما يَلزمني غَزوٌ ولا حجٌّ ولا شيءٌ مما تنظر الأئمة فيه، وإنما لكم مني هذا الاسم الذي يُخطَب به على المنابر، فإن أحببتم أن أعتَزِل.

(١) في (ف): وبعث أعوانه.
(٢) في (ف م م١): النعم.

وقويت الشَّناعات على الشِّيرازي، واجتمع جماعةٌ إلى سبكتكين وقالوا: هذا عدوُّك، وهذا وقتُك، وأشاروا بأبي طاهر محمد بن بَقيَّة ـ ولم يكن من بيت الوزارة ـ فأجابهم إلى ذلك[١].

[شرح حال ابن بقية قبل وزارته:

قال ابن الصابئ:] كان ابن بقية أحدَ أربعة أخوة من أهل أَوانا، وكلهم يُسمَّى محمداً، وكان أبوهم أحد المُزارعين، ويسمَّى محمداً أيضاً [، وبقيّة جدهم، وإنما نسبوا إليه اختصاراً].

وخدم محمداً وكنيته أبو الحسن أخو أبي طاهر[٢]. وكان أوجه أولاد بقية محمد بن جعفر الأصبهاني، ويلقب بنَمْلة[٣].

وكان صاحبَ مطبخ معزّ الدولة، وكان ضامنَ تكريت وأعمالها، وتدرَّج أبو الحسن محمد بن بقية معه من حال إلى حال حتى استعمله على ذلك كله، واستخلف أبو الحسن محمد أخاه أبا طاهر في المطبخ، وفسد حال مهله[٤] عند معز الدولة، ولحقته علَّةٌ منعته من الخدمة، فضمن أبو طاهر تلك الأعمال، وترقَّى قليلاً قليلاً حتى مات معزُّ الدولة وولي عزُّ الدولة، فأقام على المطبخ إلى يوم ولي الوزارة.

وكان يقدِّم لعزّ الدولة الطعامَ بنفسه، ويذوق الألوان لوناً لوناً، فلما وَزَر شرع يفعل ذلك، فنهاه عزُّ الدولة، فقال الناس: انتقل ابن بقية من الغضارة إلى الوزارة.

وكان ابن بقيّة كريماً يُغطِّي كرمُه عيوبَه، وزر أربع سنين وأياماً، وكان واسعَ النَّفس، وكانت وظيفته من الثَّلج في كل يوم ألف رطل، وراتبه من الشَّمْع في كل شهر ألفا رطل، ثم آل أمره إلى أن سَمَله عَضُد الدولة، وصَلَبه وهو ابن نيِّفٍ وخمسين سنة ـ وسنذكره في ترجمته ـ وقيل: إنما سَمَله عزُّ الدولة[٥].

---

(١) من قوله: والسبب في ذلك... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٢) هكذا جاءت العبارة في (خ ب)، وفي (ف م م١): وجد محمد أيضاً أبو الحسن أخو أبي طاهر، ولم أتبين صوابها.

(٣) في (ف م م١): مملة، وفي (ب): بنهلة.

(٤) كذا، وفي (ف م م١): مملة.

(٥) المنتظم ١٤/٢١٦، ووفيات الأعيان ٥/١١٨، وتاريخ الإسلام ٨/٢٧٨، والسير ١٦/٢٢٠.

وفيها سار القرمطي إلى مصر، وسنذكره إن شاء الله في ترجمته في سنة ست وستين وثلاث مئة.

وحج بالناس أبو أحمد النَّقيب العَلَوي [الذي حجَّ بهم في السنة الماضية.

فصل: وفيها توفي

إبراهيم بن محمد بن سَخْتَويه

أبو إسحاق، المُزَكِّي، النَّيسابوري.

طاف البلاد، وأنفق على الحديث أموالاً كثيرة. حكى الخطيب عنه أنه قال: أنفقتُ على الحديث بِدَراً من الدَّنانير، وقدمتُ بغداد في سنة ست عشرة وثلاث مئة لأسمع من ابن صاعد ومعي خمسون ألف درهم بضاعة، فرجعتُ إلى نيسابور ومعي أقلّ من ثُلثها، أنفقتُ ما ذهب منها على أصحاب الحديث.

وقال الخطيب بإسناده عن محمد بن عبد الله الحافظ قال: كان ابن سختويه من العبَّاد المجتهدين الحجَّاجين، المُنفقين على العلماء والمستورين. عُقِد له الإملاء بنيسابور سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، وهو أسود الرأس واللحية، وزُكِّي في تلك السنة، وكان يُعدُّ في مجلسه أربعة عشر مُحَدِّثاً منهم أبو العباس الأصَمّ.

وتوفي بسوسنقين في شعبان، وحُمل في تابوت إلى نَيْسابور فصلَّينا عليه، ودُفن في داره وهو ابن سبع وستين سنة.

وسوسنقين منزل بين هَمذان وساوة.

سمع بنيسابور من محمد بن إسحاق بن خُزيمة وغيره، وببغداد من أبي حامد الحَضْرمي وطبقته، وبسَرْخَس من محمد بن عبد الرحمن الدَّغولي وغيره.

وكان ثَبْتاً، حُجَّة، مُكثراً، مواصِلاً للحج، روى كُتباً كباراً، وكان ثقةً][(١)].

(١) هذه الترجمة من (ف م م١)، وليست في (خ ب)، وإلى نهاية السنة ليس في (ف م م١). وانظر في ترجمة إبراهيم: تاريخ بغداد ٧/ ١٠٥، والمنتظم ١٤/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٠٠، والسير ١٦/ ١٦٣.

وفيها توفي

السَّرِيُّ بن أحمد بن السَّرِيِّ

أبو الحسن، المَوْصِليّ، الرَّفَّاء.

شاعر، فصيحٌ، مُجَوِّد.

فمن شعره يمدح أبا المُرَجَّى بن ناصر الدولة وقد رَمِدت عينُه: [من الكامل]

شَكتِ العُلى لما شَكَتْه جُفونُه ... فشَكاتُه مقرونةٌ بشَكاتها
قد قلتُ للأعداء مَهْلاً إنها ... نُوَبٌ تَجلّى الصبحُ من ظُلُماتِها
قالوا اشتكى رَمداً حَمى أجفانَه ... سِنَة الرُّقادِ وغَضَّ من لَحَظاتها
فأجبتُهُم لم تَرْمَد العينُ التي ... تَحمَرُّ بأساً يومَ حَرْبِ عِداتها
لكنْ رأتْه مُحارباً أموالَه ... بنَوالِه فجَرتْ على عاداتها

وقال يمدح أبا الهيجاء حَرْب بن سعيد بن حَمْدان(١): [من الوافر]

بَلاني الحبُّ فيكَ بما بَلاني ... فشَأْني أن تَفيضَ غُروبُ شاني
أبيتُ الليلَ مُرْتَفقاً أُناجي ... بصِدْقِ الوَجْدِ كاذِبَةَ الأماني
فتَشهَدُ لي على الأَرَقِ الثُّريَّا ... ويَعلَمُ ما أُجِنُّ الفَرْقدانِ
إذا دَنَتِ الخيامُ بهم فأهْلاً ... بذاك الخِيْمِ والخِيَمِ الدَّواني
فيا وَلَعَ العَواذِلِ خَلِّ عنِّي ... ويا كَفَّ الغَرامِ خُذي عِناني

وقال يمدح حَمدان بن ناصر الدولة ويُهَنِّيه بمولود سمّاه تَغْلِب، وكَناه أبا السرايا:

غداً تُبدي مدامِعُنا الخفايا ... إذا زُمَّت لِطيَّتها المَطايا
وَقفْنا نَحْمَدُ العَبَراتِ لما ... رأينا البَيْنَ مَذْمُومَ السَّجايا
كأن خُدودَهنَّ إذا استَهلَّت ... شقائقُ فيه من طَلٍّ بقايا
وقد فَوَّقْنَ بالألْحاظِ نَبْلاً ... قلوبُ العاشقين له رَمايا
تمنَّينا اللقاءَ فكان حَتْفاً ... وكم أُمنيَّةٍ جَلبتْ مَنايا
أرى الآفاقَ قد مُلئتْ سُروراً ... بتَغْلِبِ الأميرِ أبي السَّرايا

---

(١) ذكرها الثعالبي في يتيمة الدهر ٢/ ١٨٥، وياقوت في معجم الأدباء ١١/ ١٨٦ من غرر شعره في الغزل.

بـمـولـودٍ بـراه الـلـه لـيـثـاً وغَـيـثـاً يَـسـتـهـلُّ عـلـى الـبَـرايـا
نَـجـيـبـاً نَـجَّـبَـتْـهُ كـرامُ قـوم فـجـاء شَـبـيـهَـهـم حَـزْمـاً ورايـا
ثَـنـايَ عـلـيـهـمُ مـا دمـتُ حـيّـاً ثـنـاءَ الـمُـشْـتـهـامِ عـلـى الـثـنـايـا
حـيـاةُ الـمـجـدِ أن يَـحـيـى وتُـفـنـي أعـادِيَـه الـحـوادثُ والـرَّزايـا
فـقُـلْ لأبـي الـمُـظـفَّـر قـد ظَـفِـرْنـا بـمـا نَـرجـو لـديـكَ مـن الـعَـطـايـا
ومَـن يَـهْـدِ الـحَـيـا لـرِيـاضِ مَـدْحٍ يَـفُـزْ مـنـهـا بـأطـرافِ الـهـدايـا
كـمـا جـادَ الـسَّـحـابُ الـجُـودُ أرضـاً فـأبْـرزَ مـن مَـحـاسـنـهـا الـخَـفـايـا
وقـد جـاءت مَـدائـحُـنـا نُـقـوداً فـلا تَـجـعـلْ جـوائـزَهـا نَـسـايـا

وقال يمدح أهل البيت والحسين عليهم السلام دائماً أبداً: [من البسيط]

إذا عَـدَدْنـا قُـريـشـاً فـي أبـاطِـحـهـا كـانـوا الـذَّوائـبَ مـنـهـا والـعَـرانـيـنـا
أغـنَـتْـهُـمُ عـن صـفـاتِ الـمـادحـينَ لـهـم مـدائـحُ الـلـه فـي طـه ويـاسـيـنـا
أقـامَ رَوْحٌ ورَيْـحـان عـلـى جَـدَثٍ ثـوى الـحُـسـيـن بـه آمـيـن آمـيـنـا
كـأن أحـشـاءنـا مـن ذِكـرِه أبـداً تُطوى على الجَمْر أو تُحشى السَّكاكينا
مَـهْـلاً فـمـا نَـقَـضـوا أوتـارَ والـدِه وإنـمـا نَـقَـضـوا فـي قـتـلـه الـدِّيـنـا
آلَ الـنـبـيِّ وَجَـدْنـا حُـبَّـكـم سَـبـبـاً يَـرضـى الإلـهُ بـه عـنّـا ويُـرضـيـنـا
فـمـا نُـخـاطِـبُـكـم إلا بـسـادَتِـنـا ولا نُـنـاديـكـمُ إلا مَـوالـيـنـا
إن أَجْرِ في حُبِّكم جَرْيَ الجَواد فقد أضحَتْ رِحابُ مَساعيكم مَيادينا
وكـيـف يَـعـدوكُـمُ شِـعـري وذِكـرُكُـمْ يَزيدُ مُسْتَحْسَنَ الأشعار تَحسينا

من أبيات.

وكان بين السَّرِيّ وبين الخالِدِيَّيْن الشاعرين مُهاجاة، فبالغا في أذاه عند سيف الدولة حتى قطع رُسومه، فانحدر إلى بغداد، ومدح الوزير أبا محمد المُهَلَّبيّ بمدائح، منها قوله: [من الكامل]

أصـبـحـتَ أعـلا الـنـاسِ قِـمَّـةَ سُـؤددٍ والـنـاسُ بـعـدك كـلُّـهـم أكـفـاءُ
أيـمـيـنُـك الـبـحـرُ الـخِـضَـمُّ وقـد طَـمَـتْ أمـواجُـه أم صَـدْرُكَ الـدَّهْـنـاءُ

أذكَرْتَنا شِيَمَ المُهَلَّبِ في النَّدى والبأسِ إذ هي شِدَّةٌ ورَخاءُ
وشَمائلٌ شهِدَ العدوُّ بفضلها والفَضْلُ ما شَهِدَت به الأعداءُ

وبلغ الخالديَّين، فانحدرا خلفه، وتوصَّلا إلى المهلَّبي حتى صارا من نُدمائه، وجعلا هِجِّيراهُما ثَلْبَه، فأعرض عنه ولم يُعطه شيئاً، فآل أمرُه إلى أن عَدِم القُوتَ، ومات ببغداد(١).

العباس بن الحسين

أبو الفَضْل، الشِّيرازي، الوزير.

كان جبَّاراً، فاتكاً، ظالماً، قُتل بالكوفة بسقية الذَّراريح، ودُفن بمشهد علي عليه السلام وهو ابن تسع وخمسين سنة.

عبد الصمد بن محمد القاهر بالله

كان القاهر بالله قد رشَّحه للخلافة لأنه أكبر ولده، فلما ولي الراضي بالله قطع لسانَه، فنبت بعد أربع سنين، فكتمه، فخَلَت به عمَّتُه أم سلمة بنت المُعْتَضد ـ وكانت عاقلةً فاضلة ـ فقالت له: قد تحدَّث بنبات لسانك الخدمُ، وتسهيلِ الكلام عليك، فأنكر، فألحَّت عليه، فقال لها بلسانٍ ثقيل: ياعمتي، إن اعترفتُ ذهب رأسي، فلما كلَّمها سجدت لله شكراً وقالت: اكتم حالَك، وأرى لك من المصلحة الخروج من هذا البلد، فربَّما شاع خبرُك فتهلك.

فخرج إلى مصر، فاستقبله كافور وأعظمه، وذلك في سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة، ثم إن عبد الصمد قصَّر في حقِّ كافور، فغاظه، فأعرض عنه، فأُشير عليه بقصد كافور، والاعتذارِ إليه واستنزال ما عنده، ، فقَصده في داره، فرجع إلى ما كان عليه من الإحسان إلى عبد الصمد، وواصل برَّه، وقام بأمره أحسنَ قيام، فكان يركب بالقباء، ويَحضر دارَ كافور في المواسم والأعياد وأيام المواكب، فيُعظِّمه الناس ويخدمونه.

---

(١) انظر في ترجمته: تاريخ بغداد ١٠/ ٢٦٩ ، ويتيمة الدهر ٢/ ١٣٧ ، والمنتظم ١٤/ ٢١٨، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٥٩ ، والسير ١٦/ ٢١٨ ، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٣٤ .

واستدعى أخاه أبا الفضل محمد بن القاهر، فخرج إليه، وأقاما وأمرُهما على السَّداد حتى مات كافور، ودخل جوهر مصر سنة سبع أو ثمان وخمسين، فخرجا إلى الشام، وعرف المطيع خبرَهما فقال: ما أعجب أمرَ هذين الرجلين، أتُراهما يخافان مني أكثر مما يخافانه من المغاربة والقرامطة! وأعطاهما أماناً أكَّده على نفسه، وكُتب عنه بأمره، وقال: ما أرى التَّعَرُّضَ لأحد من أهلي، ولا الإساءة إلى أولاد الخلفاء، فقد كان لحقني من المُسْتكفي ما أحسن الله لي العاقبةَ فيه، وعاد بسوء العاقبة عليه.

وكوتب عبد الصمد وأخوه محمد بذلك، فوردا بغداد في سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة، وأقاما ببغداد على حالِ صِيانةٍ وحراسة، ومات عبد الصمد في هذه السنة[1].

(١) لم أقف على هذا الخبر.